

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٨٥٣ : خ ١ - الإيثار.

لضييلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-١٠-٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله نحده، ونستعين به ونسترشد، ونعود به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مصل له، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

نشاطات لقطف ثمار الدين :

أيها الأخوة المؤمنون، هناك نشاطات في حقل الدين كثيرة جداً لا تعد ولا تحصى، ولكن ثلاثة أنشطة من هذه النشاطات تجعلك تقطف ثمار الدين، النشاط الأول: نشاط لمعرفة الله عز وجل من خلال كتابه، وسنة نبيه، ومن خلال الكون، ومن خلال أفعاله، إذا صحت العقيدة قطعت الخطوة الأولى السليمة، النشاط الثاني: أن تلتزم الأمر والنهي، أن يجدك حيث أمرك ويفتقرك حيث نهاك، الطاعة، التقوى، الاستقامة، هذا النشاط حركي، موقف، كلمة طيبة تتطق بها، أو تصمت عن كلمة لا ترضي الله، أن تعطي الله وتنمنع الله، وتغضب الله وترضي الله، وتصل الله وتقطع الله، أن يكون ولاؤك للمؤمنين ولو نالك منهم أذى، وتكون براعتك للكفار والمفسدين ولو نالك منهم خير، الخطوة الثانية أن تلتزم أمر الله عز وجل، والنশاط الثالث: أن تعمل صالحاً لأن العمل الصالح يرفعك ويقربك لله عز وجل.





﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ
عَمَلاً صَالِحًا﴾

[سورة الكهف: ١١٠]

والعمل الصالح لا يقبل إلا بشرطين أن يكون خالصاً لله عز وجل، ويوافق الكتاب والسنة، فإذا كان خالصاً قبله الله عز وجل، وإذا وافق السنة قبله الله عز وجل، وكلاهما شرط لازم غير كاف،

والنشاط الثالث الذي يمكن أن تقطف من خلاله ثمار الدين العمل الصالح، أن تقدم شيئاً، أسأل نفسك سؤالاً ماماً قدمت الله؟ ماماً قدمت بين يدي الله عز وجل؟ لو أن الله سألك يوم القيمة ماماً فعلت من أجله؟ ما العمل الذي قدمته وبذلتـه؟ ما المال الذي أنفقـته؟ ما الدعوة التي دعـوت بها؟ ما الخدمة التي قدمـتها؟

البند الثالث هو محور هذه الخطبة، البند الأول أن تتعرف إلى الله من خلال كتابه، وسنة نبيه، وخلقه، وأفعالـه، أي أن تصح عقـيدتك أو تصـوراتـك، والبند الثاني أن تلتزم الأمر والنـهيـ، وأن تستقيمـ على أمرـه.

السلامة والسعادة مطلبان ثابتان لكل إنسان :

أيها الأخوة الأحبـابـ، بالاستقامة تسلم وبالعمل الصالـحـ تـسـعدـ، والسلامـةـ والسعادةـ مطلبـانـ ثابتـانـ لـكـلـ إـنـسانـ فيـ كلـ زـمانـ وـمـكـانـ، وـلـاـ يـشـقـيـ وـلـاـ يـهـاـكـ الإـنـسانـ إـلـاـ بـسـبـبـ خـطاـ فيـ تـصـورـهـ، لأنـ الإـنـسانـ مـجـبـولـ عـلـىـ حـبـ ذـاتـهـ، وـحـبـ سـلامـةـ ذـاتـهـ، وـحـبـ كـمـالـ وجودـهـ، وـحـبـ اـسـتـمرـارـ وجودـهـ.



الذي لا يعطي عقـيدـتهـ ضـعـيفـةـ

أيها الأخوة الأحبـابـ، متـىـ تعـطـيـ؟ متـىـ تـنـفـقـ؟ متـىـ تـبـذـلـ؟ متـىـ تـمـضـيـ وـقـتاـ لـوـجـهـ اللهـ؟ متـىـ تـنـفـقـ منـ جـاهـكـ فيـ سـبـيلـ اللهـ؟ متـىـ تـنـفـقـ منـ مـالـكـ فيـ سـبـيلـ اللهـ؟ متـىـ تـعـمـلـ صـالـحـاـ؟ إنـ لمـ يـصـحـ تصـورـكـ أنـ اللهـ سـيـكـافـئـكـ عنـ هـذـاـ العـطـاءـ أـضـعـافـاـ مـضـاعـفـةـ لاـ يـمـكـنـ أنـ تعـطـيـ، فـالـذـيـ لاـ يـعـطـيـ عـقـيدـتـهـ ضـعـيفـةـ، وـالـذـيـ لاـ يـعـطـيـ ضـعـيفـ إـيمـانـهـ وـمـتـعلـقـ بـالـدـنيـاـ، مـنـ هـوـ الـأـعـورـ الدـجـالـ؟ هـوـ الـذـيـ

يرى بعين واحدة، في بعض معاني هذا المصطلح، لا أقول هذا هو المعنى الدقيق، هو الذي يرى الدنيا ولا يرى الآخرة، يرى المادة ولا يرى الروح، يرى حاجاته ولا يرى قيمه، الذي يتحرك وفق شهواته لا وفق مبادئه، يسعى للدنيا ولا يسعى للأخرة، هو أعور، والدجال هو الذي يكذب،رأيت إلى هذا الوصف الجامع المانع لإنسان العصر الحديث، يرى الدنيا ولا يرى الآخرة، ويتكلم بخلاف الواقع، فإذا أرادوا مثلاً أن يقصروا بلداً إسلامياً كان التبرير تحقيق السلام في المنطقة، أليس هذا منتهي الكذب والدجل؟

من آمن بالأخرة بنى حياته على العطاء :

أيها الأخوة الأحباب، لا يمكن أن تعطي شيئاً إلا إذا أيقنت أن الله سيكافئك عن هذا الشيء أضعافاً مضاعفة، أنت حينما تؤمن بالأخرة تبني حياتك على العطاء، وتجعل أساس حياتك العطاء، لأن هذه الدنيا فرصة لا تعوض بدفع ثمن الآخرة، ثمن الآخرة يؤدى في الدنيا استقامة وعمل صالح.

سوف ننترع من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه الأطهار ومن سيرة العلماء العاملين بعض المواقف في المؤاثرة، إما أن تكون صاحب أثره، وإما أن تكون صاحب مؤاثرة، إما أن تبني حياتك على العطاء أو على الأخذ.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُمَّ عَنْهُمْ أَنْ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُمَّ وَسَلَّمَ فَبَعَثْتَ إِلَيْنِي نِسَائِهِ فَقُنْ مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُمَّ وَسَلَّمَ مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ أَنَا فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُمَّ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صَبَيَّانِي فَقَالَ هَيَّئِي طَعَامَكِ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ وَنَوْمِي صَبَيَّانِكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً فَهَيَّأْتِ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا وَنَوَمَتْ صَبَيَّانَهَا ثُمَّ قَامَتْ كَانَهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَاتَهُ فَجَعَلَاهَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلُانِ فَبَاتَا طَاوِيَّنِ فَمَا أَصْبَحَ غَدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُمَّ وَسَلَّمَ فَقَالَ ضَحِكَ اللَّهُ الْيَلَّةُ أَوْ عَجَبَ مِنْ فَعَالَكُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ [وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةً وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]))

[البخاري عن أبي هريرة]

موقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أيها الأخوة الكرام:

((عَنْ الْمِقْدَادِ قَالَ أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَيْنِ لِي وَفَدَ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهَدِ فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُمَّ وَسَلَّمَ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِّنْهُمْ يَقْبَلُنَا فَأَنْتَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْتَزَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ احْتَبُوا هَذَا اللَّيْنَ بَيْنَنَا قَالَ فَكُنَا نَحْتَبُ فَيَشْرُبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ نَصِيبِهِ وَتَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصِيبِهِ قَالَ فَيَجِيءُ مِنَ الْلَّيْلِ فَيُسْلِمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ قَالَ ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجَدَ فَيُصْلِي ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرُبُ فَإِنَّا لِلَّهِ وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي فَقَالَ مُحَمَّدٌ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فَيُتَحْفُونَهُ وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ فَأَتَيْتُهُمْ فَشَرِبْتُهُمْ فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ فِي بَطْنِي وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لِيَسْ إِلَيْهَا سَبِيلٌ قَالَ نَدَمْنِي الشَّيْطَانُ فَقَالَ وَيُحِكَّ مَا صَنَعْتَ أَشَرِبْتُ شَرَابَ مُحَمَّدٍ فَيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ فَيَدْعُ عَلَيْكَ فَتَهِيكُ فَتَذَهَّبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ وَعَلَيَّ شَمَلَةٌ إِذَا وَضَعَفْتُهَا عَلَى قَدَمِي خَرَجَ رَأْسِي وَإِذَا وَضَعَفَتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ وَجَعَ لَا يَجِيئُنِي النَّوْمُ وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنُعا مَا صَنَعْتُ قَالَ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسْلِمُ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجَدَ فَصَلَّى ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقُلْتُ الآنَ يَدْعُونِي عَلَيَّ فَاهْلِكَ فَقَالَ اللَّهُمَّ أَطْعُمُ مِنْ أَطْعُمْنِي وَأَسْقُ مِنْ أَسْقَانِي قَالَ فَعَمِدْتُ إِلَى الشَّمَلَةِ فَشَدَّدْتُهَا عَلَيَّ وَأَخْذَتُ الشَّفَرَةَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى الْأَعْزَرِ أَيْهَا أَسْمَنْ فَأَذْبَحْتُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هُنَّ حُفْلَ كُلُّهُنْ فَعَمِدْتُ إِلَى إِنَاءِ لَلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَبُوا فِيهِ قَالَ فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةً فَجَئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَشَرِبُكُمُ اللَّيْلَةَ قَالَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرِبْ فَشَرَبْ ثُمَّ نَاوَلَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرِبْ فَشَرَبْ ثُمَّ نَاوَلَنِي فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَوِيَ وَأَصَبَّتُ دَعْوَتَهُ ضَحْكَتُ حَتَّى أَقْبَلَتُ إِلَى الْأَرْضِ قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَوَاتِكَ يَا مِقْدَادٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ أَفَا كُنْتَ آذِنْتَنِي فَنُوَفِّقَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ مِنْهَا قَالَ فَقُلْتُ وَالَّذِي بَعَثْكَ بِالْحَقِّ مَا أَبَلَيْ إِذَا أَصَبَّتَهَا وَأَصَبَّتُهَا مَعَكَ مِنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ))

[مسلم عن المقداد]

دقوا في محاسبة النفس وفي موقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم !

((عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ جَاءَنِتِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَيْ فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكِلُهَا فَاسْتَطَعْتُهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكِلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِي



شَانُهَا فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا
الْجَنَّةَ أَوْ أَعْنَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ))

[مسلم عن عائشة]

أرأيت إلى المؤثر؟

((عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: إن الأشعريين إذا
أرملوا أي انتهى طعامهم ونفذ - في الغزو، وقل طعام عيالهم بالمدينة : جمعوا ما كان عندهم
في ثوب واحد، ثم افتسموا بينهم في إماء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم))

[آخره البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري]

أسأل نفسك دائمًا ماذا قدمت لأخيك؟ هل قدمت له جزءاً من مالك؟ أو من وقتك؟ أو خبرتك؟ أو
علمك؟

((من عادى لي ولِيَا فَقَدْ آنَتْهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقْرَبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ
وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقْرَبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ فَإِذَا أَحِبَّتُهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ
الَّذِي يُبَصِّرُ بِهِ وَيَدُهُ التَّيْ يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلُهُ التَّيْ يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلْتُنِي لَأُعْطِنَنِي وَلَئِنْ اسْتَعَذَنِي
لَأُعِذِنَنِي وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ
مَسَاعِيَهُ))

[البخاري عن أبي هريرة]

حجم الإنسان بحجم عمله الصالح :

أيها الأخوة الكرام، مرة ثانية: حجمك
 عند الله بحجم عملك الصالح، قد تداوم
 على مسجد ثلاثين عاماً ولا تقدم شيئاً
 لا من مالك، ولا من وقتك، ولا من
 علمك، ولا من صنعتك، ولا من
 خبرتك، لا تقدم شيئاً لإخوانك، والله في
 عون العبد مadam العبد في عون أخيه.
 ((طَعَامُ الْاثْتَيْنِ كَافِي الْثَّلَاثَةِ وَطَعَامُ
 الْثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ))

[البخاري عن أبي هريرة]



طعام الاثنين كافي الثلاثة

وفي لفظ مسلم:

((طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاثْتَيْنِ وَطَعَامُ الْاثْتَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الْثَّمَانِيَةَ))

[مسلم جابر بن عبد الله]

أسأل نفسك كل يوم مَاذا فعلت من أجل هذا الدين؟ ومن أجل إخوانك المؤمنين؟ ومن أجل فقراء المسلمين؟ ومن أجل من يجهل حقيقة الدين؟ هل دعوت إلى الله؟

الإسلام حركي بذل وتضحية وإيثار :

أيها الأخوة الكرام، تصور تعامل المسلمين اليوم مع القرآن الكريم وتعامل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القرآن ووازن بين الاثنين!

((عن ابن أبي طلحة أَنَّهُ سَمِعَ أَنَّسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَقُولُ كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَحْلٍ وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بِيرْحَاءً وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرُبُ مِنْ مَاءِ فِيهَا طَيْبٌ قَالَ أَنَّسٌ فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ [لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ [لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بِيرْحَاءً وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حِيثُ أَرَاكَ اللَّهُ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَخْ ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلُهَا فِي الْأَقْرَبَيْنِ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَفْعُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقْارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ تَابِعَهُ رُوحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَإِسْمَاعِيلُ عَنْ مَالِكٍ رَابِعٍ))

[البخاري عن أنس بن مالك]

أنت حينما تقرأ آية هل تفكّر أن تفعل شيئاً؟ حينما تختتم ختمة في رمضان هل تفكّر أن تقدم شيئاً؟ أو تعيّن ضعيفاً؟ أو تطعم جائعاً؟ أو تتبنّى داعية؟ أو تتبنّى طالب علم؟ هل تفكّر أن تقدم شيئاً؟ هكذا كان أصحاب رسول الله، حينما قال الله عز وجل:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾

[سورة الفتح: ١٨]

أخوتنا الكرام، إسلام سكوني غير موجود، الإسلام حركي وبذل وتضحية وإيثار وعطاء وعمل صالح.

الإيثار من صفات المؤمنين :



أيها الأخوة الكرام، سيدنا عمر رضي الله عنه قال: يا عبد الله بن عمر اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل: إن عمر بن الخطاب يقرئك السلام ثم سلها أن أُدفن مع صاحبي إلى جنب سيدنا الصديق قالـتـ: كنتـ أـرـيـدـهـ لـنـفـسـيـ

استدـانـ عـمـرـ أـنـ يـدـفـنـ جـنـبـ صـاحـبـيـهـ كـانـ بـعـدـ مـوـتهـ

خ ١ - الإيثار .

فلا أؤثرنـه اليـوم عـلـى نـفـسي، فـلـما أـقـبـل قـال لـه: مـا لـدـيـك؟ قـال: أـذـنـت لـك يـا أمـير الـمـؤـمـنـينـ، هـو خـلـيـفة الـمـسـلـمـينـ وـطـلـب إـذـنـاـ منـ السـيـدة عـائـشـةـ أـن يـدـفـن إـلـى جـنـب صـاحـبـيـهـ، وـكـانـت السـيـدة عـائـشـةـ قد رـغـبـت بـهـذـا المـكـان لـهـاـ، فـلـما سـأـلـهـاـ عمرـ آثـرـتـهـ عـلـى نـفـسـهـاـ، دـقـواـ فـي الـورـعـ قـالـ: مـا كـانـ شـيـءـ أـهمـ إـلـيـ منـ ذـلـكـ المـضـجـعـ إـذـا قـبـضـتـ فـاـحـمـلـونـيـ ثـمـ اـسـأـلـواـ السـيـدةـ عـائـشـةـ -ـ اـسـتـأـذـنـوـهـاـ -ـ فـإـنـ أـذـنـتـ لـيـ فـادـفـنـونـيـ، مـتـىـ أـرـادـ أـنـ يـسـتـأـذـنـهـاـ؟ـ بـعـدـ الـموـتـ، هـوـ حـيـ خـلـيـفةـ رـسـوـلـ اللهـ، أمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ مـعـهـ سـلـطـةـ أـمـاـ بـعـدـ الـموـتـ فـانـتـهـتـ خـلـافـتـهـ وـإـمـارـتـهـ وـسـلـطـتـهـ، يـنـبـغـيـ أـنـ تـسـتـأـذـنـهـاـ ثـانـيـةـ بـعـدـ الـموـتـ فـإـنـيـ لـأـعـلـمـ أـحـدـاـ أـحـقـ بـهـذـا الـأـمـرـ مـنـ هـؤـلـاءـ النـفـرـ الـذـيـنـ تـوـفـيـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـهـوـ عـنـهـ رـاضـ، فـمـنـ اـسـتـخـلـفـتـ بـعـدـيـ فـهـوـ خـلـيـفةـ فـاسـمـعـواـ لـهـ وـأـطـيـعـواـ فـسـمـىـ عـثـمـانـ وـعـلـيـاـ وـطـلـحـةـ وـزـبـيرـ وـعـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ عـوـفـ وـسـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاصـ وـوـلـجـ عـلـيـهـ شـابـ مـنـ الـأـنـصـارـ قـالـ: أـبـشـرـ يـاـ أمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ بـبـشـرـىـ اللهـ لـكـ، كـانـ لـكـ مـنـ الـقـدـمـ فـيـ الـإـسـلـامـ مـاـ قـدـ عـلـمـتـ، ثـمـ اـسـتـخـلـفـتـ فـعـدـلتـ، ثـمـ الشـهـادـةـ بـعـدـ هـذـاـ كـلـهـ، قـالـ: لـيـتـيـ يـاـ بـنـ أـخـيـ ذـلـكـ كـفـافـاـ لـاـ عـلـيـ وـلـاـ لـيـ، أـوـصـ خـلـيـفةـ مـنـ بـعـدـيـ بـالـمـهـاجـرـينـ الـأـوـلـيـنـ خـيـرـاـ، أـنـ يـعـرـفـ لـهـمـ حـقـمـ، وـيـحـفـظـ لـهـمـ حـرـمـتـهـ، وـأـوـصـيـهـمـ بـالـأـنـصـارـيـ خـيـرـاـ الـذـيـنـ تـبـوـءـوـ الدـارـ وـالـإـيمـانـ، أـنـ يـقـبـلـ مـنـ مـحـسـنـهـمـ، وـيـعـفـيـ عـنـ مـسـيـئـهـمـ، وـأـوـصـيـهـ بـذـمـةـ اللهـ، وـذـمـةـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـ يـوـفـيـ لـهـمـ بـعـهـدـهـمـ، وـيـقـاتـلـ مـنـ وـرـائـهـمـ، وـلـاـ يـكـلـفـوـاـ فـوقـ طـاقـتـهـمـ. وـعـنـ قـيـسـ بـنـ سـعـدـ بـنـ عـبـادـةـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـمـ وـكـانـ مـنـ الـأـجـوـادـ الـمـعـرـوـفـينـ حـتـىـ أـنـ مـرـضـ مـرـةـ فـاسـتـبـطـاـ إـخـوانـهـ فـيـ الـعـيـادـةـ فـسـأـلـ عـنـهـمـ فـقـالـلـوـاـ: إـنـهـمـ كـانـواـ يـسـتـحـيـونـ مـاـ كـانـ لـكـ عـلـيـهـ مـنـ الـدـيـنـ، قـالـ: أـخـزـىـ اللهـ مـاـ لـاـ يـمـنـعـ الـإـخـوانـ مـنـ الـزـيـارـةـ، ثـمـ أـمـرـ مـنـادـيـاـ يـنـادـيـ مـنـ كـانـ لـقـيـسـ عـلـيـهـ مـاـلـ فـهـوـ مـنـهـ فـيـ حـلـ، فـمـاـ أـمـسـىـ حـتـىـ كـسـرـتـ عـتـبـةـ بـابـهـ لـكـثـرـةـ مـنـ عـادـهـ!ـ.

قصص واقعة صنعها الإيمان :

أـيـهـاـ الـأـخـوـةـ الـكـرـامـ، هـيـ قـصـصـ كـالـخـيـالـ لـكـنـهـاـ وـاقـعـةـ لـأـنـ الـإـيمـانـ هـوـ الـذـيـ صـنـعـهـاـ.
وـعـنـ حـذـيـفةـ الـعـدـوـيـ قـالـ: اـنـطـلـقـتـ يـوـمـ الـيـرـمـوـكـ أـطـلـبـ اـبـنـ عـمـ لـيـ وـمـعـيـ شـيـءـ مـنـ مـالـ، وـأـنـاـ
أـقـولـ: إـنـ كـانـ بـهـ رـمـقـ سـقـيـتـهـ وـمـسـحـتـ بـهـ وـجـهـهـ، فـإـذـاـ أـنـاـ بـهـ فـقـلـتـ أـسـقـيـكـ؟ـ فـأـشـارـ إـلـيـ أـنـ نـعـمـ فـإـذـاـ
رـجـلـ يـقـولـ: آـهـ، فـأـشـارـ اـبـنـ عـمـيـ إـلـيـ أـنـ اـنـطـلـقـ بـهـ إـلـيـهـ فـجـئـتـهـ فـإـذـاـ هـوـ هـشـامـ بـنـ الـعـاصـ فـقـلـتـ
أـسـقـيـكـ؟ـ فـسـمـعـ بـهـ آـخـرـ يـقـولـ: آـهـ، فـأـشـارـ هـشـامـ أـنـ اـنـطـلـقـ بـهـ إـلـيـهـ فـجـئـتـهـ فـإـذـاـ هـوـ قـدـ مـاتـ، فـرـجـعـتـ
إـلـيـ هـشـامـ فـإـذـاـ هـوـ قـدـ مـاتـ فـرـجـعـتـ إـلـيـ اـبـنـ عـمـيـ فـإـذـاـ هـوـ قـدـ مـاتـ رـحـمـةـ اللهـ عـلـيـهـمـ أـجـمـعـينـ.
هـمـ يـمـوتـونـ وـيـنـازـعـونـ، وـالـلـهـ لـاـ أـحـبـ أـنـ أـرـوـيـ شـيـئـاـ سـلـبـيـاـ، لـكـنـ أـحـيـانـاـ يـعـضـبـ الـإـنـسـانـ وـيـتـكـلـمـ
بـكـلـمـةـ الـكـفـرـ لـشـيـءـ تـافـهـ جـداـ.

وـعـنـ مـالـكـ الدـارـيـ أـنـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ أـخـذـ أـرـبعـمـئـةـ دـيـنـارـ فـجـعـلـهـاـ فـيـ سـرـةـ ثـمـ قـالـ
لـلـغـلـامـ: اـذـهـبـ بـهـ إـلـيـ أـبـيـ عـبـيدـةـ بـنـ الـجـرـاحـ، ثـمـ تـلـكـأـ سـاعـةـ فـيـ الـبـيـتـ حـتـىـ تـنـتـظـرـ مـاـذـاـ يـصـنـعـ بـهـ،

فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: أجعل هذه في بعض حاجتك، أي أعطه إياها لينفقها على نفسه، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى فقدتها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلاً لمعاذ بن جبل وقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل وتلماً في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع، فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: أجعل هذه في بعض حاجتك فقال: رحمة الله ووصله، وقال: يا جارية اذهبي لبيت فلان بهذا، وبيت فلان بهذا، فاطلعت امرأة معاذ قالت: ونحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرفة إلا ديناران فنحى بهما إليها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك عمر وقال إنهم إخوة بعضهم من بعض.

وحكى عن أبي الحسن أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الري ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم، فكسرموا هذه الأرغفة وأطقووا السراج وجلسوا للطعام، فلما رفعوا الطعام بحاله لم يأكل أحد منه شيئاً ليثاراً لصاحبه !

أيها الأخوة الكرام، بينما اشتدت بعض الحالات في المدينة في عهد عمر ترك عمر أكل اللحم إطلاقاً حتى قرقق بطنه فقال عمر يخاطب بطنه: قرقق أيها البطن أو لا تقرقر فوالله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمين.

وضع على مائدة سمام الناقة وقدمت إلى عمر فبكى وقال: بئس الخليفة أنا إذا أكلت أطبيها وأكل الناس كراديسها.

العمل الصالح ثمن الجنة :

أيها الأخوة الكرام، تحدثت عن الإيثار لأنها من صفات المؤمن، لأن المؤمن جاء للدنيا ليعمل عملاً صالحاً، ويكون هذا العمل الصالح ثمناً للجنة التي يسعى إليها، فلا بد أن يؤثر، أما حينما يستقل كل مسلم بنفسه ولا يفكر بأن يعطي شيئاً لا من وقته، ولا من جهده، ولا من ماله، ولا من خبرته، ولا من علمه، يكتفي أن يعجب بالكلمات التي



لابد للمؤمن من أن يؤثر غيره على نفسه

تنقى، والخطب الرنانة التي ينطّق بها الخطباء، ويعجب بالكتاب الفلاّني، والندوة الفلاّنية، والمنهج الفلاّني، والعالم الفلاّني، ولا يفعل شيئاً، لا شأن له عند الله، ليس في الإسلام إعجاّباً سلبياً، ليس في الإسلام سكوناً

حقيقة الإيمان إذا استقرت في قلب المؤمن لابد من أن تعبّر عن ذاتها بعمل صالح، كما أن الوردة إن لم يكن لها رائحة فليست وردة، وكذلك المؤمن إن لم يكن له عمل صالح فلا يتمتع بحقيقة الإيمان.

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾

[سورة الكهف: ١١٠]

أيها الأخوة الكرام، حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواه، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعود الأمين.

قصة عمر بن الخطاب مع بطريق بيت المقدس :

أيها الأخوة الكرام، كلّكم يعلم أن المسلمين في محبة، أسوق لكم هذه القصة التي هي أغرب من الخيال ومع ذلك وقعت:

دخل أبو عبيدة بن الجراح على بطريق بيت المقدس بعد حصار دام قرابة أربعة أشهر من دون فائدة، فقال له: أين أميركم؟ وكان أبو عبيدة هو أمير الجيش فقال: أنا، فنظر بطريق له بتمعن فقال: لا ليس أنت، إننا نعرف أميركم آتوني به، هو وحده من يتسلّم مفاتيح بيت المقدس، فبعث ابن الجراح للفاروق يطلب منه أن يأتي هو كي يتسلّم مفاتيح بيت المقدس، ويكتفي المسلمين شر القتال، فشاور أصحابه فأشار عثمان بلا، وأشار علي بنعمر، فاستخار أمير المؤمنين ربه فذهب ابن الخطاب مع فتى له على دابة واحدة، وعمر قسم الرحلة ثلاثة أقسام، قسم يركب هو، وقسم يركب الفتى، وقسم تستريح الدابة، هل بعد هذا من عدل؟ هل بعد هذا من زهد أو خشونة أو تواضع أو رحمة؟ ذهب أبو عبيدة ليستقبل عمر وجده على هذه الحالة فقال: يا أمير المؤمنين نأتيك بدابة

أخرى غير هذه الدابة، فرفض عمر قال: اركب أنت مكان الغلام، النوبة كانت للغلام، فرفض عمر، فظل يدعو أن يدخل عمر الشام ودوره هو على الدابة، لقد دخل عمر الشام وفاته على الدابة وهو يمشي إلى جانبه!

أيها الأخوة الكرام: جاء أبو عبيدة ببرذون -مركب وقتها كان فخماً- وهي دابة يركبها وجهاء الشام، وأتى بلباس جديد من كتان أبيض، فلما لبسها عمر وركب هذا البرذون أنكر نفسه فخلع الثياب، وأمر بلباسه، ودفع البرذون وأمر بناقهته، وقال: الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام ومهمما ابتغينا العزة بغير الإسلام أذلنا الله!

سيدنا أبو عبيدة يعيش في الشام قال: يا أمير المؤمنين لقد صنعت صنعاً عظيماً عند أهل الأرض دفعه بصدره وقال:
لو أن أحداً غيرك قالها لفعلت به الأفاعيل، لقد كنتم أذل الناس، وأخفر الناس، وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلب العزة بغير الله بذلك الله عز وجل!



من ابتغى العزة بغيره ذل

لا تحتاج هذه القصة إلى تعليق، المسلمين اليوم يبتغون العزة بغير الله ويبتغون العون من عند غير الله، المسلمين اليوم يتلمسون الدعم من غير الله، وينبطحون أمام أعداء الله، ويبذلون ماء وجوههم من أجل أن يسلموه ولن يسلموه، مهما ابتغينا العزة بغير الله أذلنا الله عز وجل. خليفة عظيم يركب دابة مرة هو ومرة فتاه ومرة يريhan الدابة لم يرض أن يرتدي ثوباً أنيقاً يدل على أنه أمير المؤمنين، ولم يرض أن يركب برذوناً يدل على أنه عظيم المسلمين، لكنه اعتز بالله فأعزه الله.

ذهب عمر لهذا البطريق وعندما لقيه قال: نعم هذا هو الموجود عندنا في الكتاب بصفته، إنه من يتسلم المفاتيح، أجرى معهم معاهدة، دققوا في معاهدة المسلمين: عاهدهم عمر أن لهم الأمان لا يقتلون، ولا يعذبون، ولا تجري دمائهم أنهاراً، ولا تهدم دورهم، ولا تشرد أسرهم، ولا تتكل أمهاتهم، ولا يبتر أطفالهم، ولا يذبح شيوخهم ولا تهدم كنائسهم، بل لو أرادوا أن يذهبوا بلاد الروم فلهم الأمان حتى يصلوا، بل حتى حيواناتهم ومزارعهم وأشجارهم أخذوا عليها الأمان، هؤلاء هم المسلمين الذين فتحوا بلاد الأرض والذين قال عنهم بعض المؤرخين: ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب وأرحم من المسلمين.

أيها الأخوة الكرام، هذا التاريخ لن يعاد إلا بجهد كبير، كما قلت في أول الخطبة جهد إيماني في معرفة الله، وجهد سلوكي في طاعته، وجهد في بناء الغالي والرخيص من أجل الله عز وجل، أما أن نبقى على حالنا فلسنا مستعدين أن نلتزم بشيء، ولا أن نقم شيئاً، ولا نغير شيئاً، ولا نحرك ساكناً، ولا ننفق درهماً، نعيش كي نستمتع ونتسلى بالأخبار، ونتصدر المجالس، ونقول: فلان أصاب وفلان أخطأ وفلان خطب وما أروع خطبه، هذا الإسلام السكوني لا يعرفه أصحاب رسول الله،رأيتكم إلى مؤثرتهم وبذلهم وعطائهم وإلى أنهم ناموا جياعاً من أجل ضيف رسول الله.

الدعاء :

اللهم اهدا فينا هديت، وعافنا فيما عفيت، وتولنا فيما توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك، وإنك لا يذل من وليت، ولا يعز من عاديت، تبارك ربنا وتعالى، ولك الحمد على ما قضيت، نستغرك ونتوب إليك، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشرنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تهلك عنا سترك، ولا تسنا ذكرك يا رب العالمين، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وأذل الشرك والشركين، اللهم دمر أعداءك أعداء الدين، اللهم شتت شملهم واجعل تدميرهم في تدميرهم، واجعل الدائرة تدور عليهم يا رب العالمين، اللهم بفضلك ورحمتك وفق ولاة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى ما تحب وترضى، اجمعهم على الحق والخير والهدى، إنك على ما تشاء قادر، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين